

التحرير والتنوير

وقوله : (لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون) رجاء أن يؤمنوا بلقاء ربهم والضمير عائد إلى معلوم من المقام وهم بنوا إسرائيل إذ قد علم من إيتاء موسى " عليه السلام " الكتاب أن المنتفعين به هم قومه بنو إسرائيل ومعنى ذلك : لعلهم إن تحروا في أعمالهم على ما يناسب الأيمان بلقاء ربهم فإن بني إسرائيل كانوا مؤمنين بلقاء الله من قبل نزول التوراة ولكنهم طرأ عليهم من أزمنة طويلة : من أطوار مجاورة القبط وما لحقهم من المذلة والتغرب والخصاصة والاستعباد ما رفع منهم العلم وأدوى الأخلاق الفاضلة فنسوا مراقبة الله تعالى وأفسدوا حتى كان حالهم كحال من لا يؤمن بأنه يلقى الله فأراد الله إصلاحهم ببعثه موسى " عليه السلام " ليرجعوا إلى ما كان عليه سلفهم الصالح من مراقبة الله تعالى وخشية لقائه والرغبة في أن يلقوه وهو راض عنهم . وهذا تعريض بأهل مكة ومن إليهم من العرب فكذلك كان سلفهم على هدى وصلاح فدخل فيهم من أضلهم ولقنهم الشرك وإنكار البعث فأرسل الله إليهم محمدا " صلى الله عليه وسلم " ليردهم إلى الهدى ويؤمنوا بلقاء ربهم .

وتقديم المجزور على عامله للاهتمام بأمر البعث والجزاء .

إنما تقولوا أن [155] ترحمون لعلكم واتقوا فاتبعوه مبارك أنزلناه كتاب وهذا (A E أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين [156] أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون [157]) جملة : (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) عطف على جملة : (ثم آتينا موسى الكتاب) . المعنى : آتينا موسى الكتاب وأنزلنا هذا الكتاب كما تقدم عند قوله تعالى : (ثم آتينا موسى الكتاب) الخ... .

وافتحاح الجملة باسم الإشارة وبناء الفعل عليه وجعل الكتاب الذي حقه أن يكون مفعول : (أنزلناه) مبتدأ كل ذلك للاهتمام بالكتاب والتنويه به وقد تقدم نظيره : (وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه) في هذه السورة .

وتفريع الأمر باتباعه على كونه منزلا من الله وكونه مباركا ظاهرا : لأن ما كان كذلك لا يتردد أحد في اتباعه .

والاتباع أطلق على العمل بما فيه على سبيل المجاز . وقد مضى الكلام فيه عند قوله تعالى : (إن أتبع إلا ما يوحى إلي) وقوله (اتبع ما أوحى إليك من ربك) في هذه السورة .

والخطاب في قوله : (فاتبعوه) للمشركين بقرينة قوله : (أن تقولوا إنما أنزل الكتاب

وقوله : (أن تقولوا) في موضع التعليل لفعل (أنزلناه) على تقدير لام التعليل محذوفة على ما هو معروف من حذفها مع (أن) . والتقدير : لأن تقولوا أي لقولكم ذلك في المستقبل أي لملاحظة قولكم وتوقع وقوعه فالقول باعث على إنزال الكتاب